فتح مصر

على يد عمرو بن العاص

فضيلة الشيخ الدكتور

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

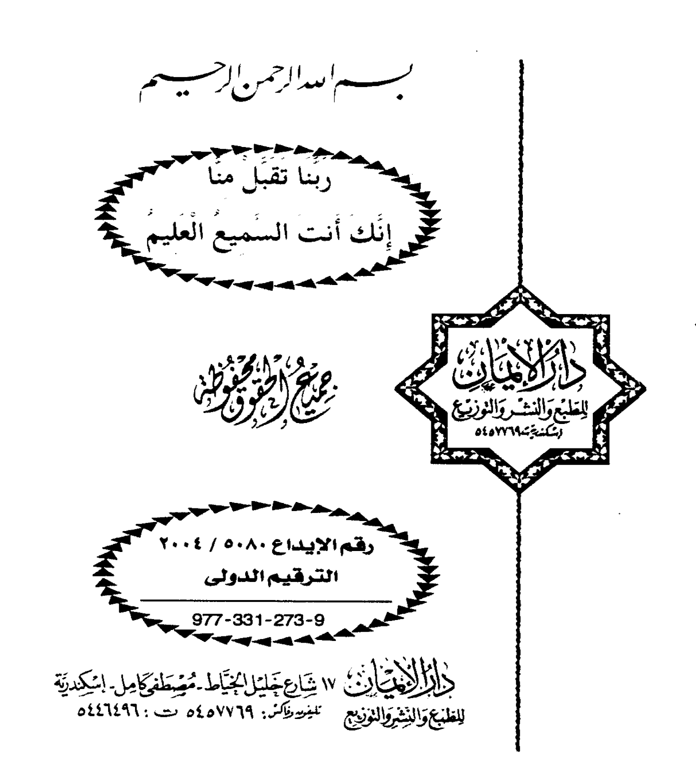






فَتحُ مِصرَ

عَلى يَدِ
عَمرو بن العاص



بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع

رقم الإيداع ٥٠٨٠ / ٢٠٠٤
الترقيم الدولى
977-331-273-9

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦



فتح مصر
على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه

بسم الله ، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد :

ففتح مصر على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه ودخل أهلها في الإسلام كان من أعظم نِعْم الله على البلاد وعلى العباد فتعبيد الناس لله وحده واخراجهم من العبودية للعباد إلى العبودية لرب العباد ، وإرجاعهم إلى الملة الحنيفية وإزالة العوائق والحواجز التي تحول دون اسلام الوجه لله ، بحيث يخلو العالم من الفساد ويتحقق

منهج الله في الأرض هو الهدف الأكبر للجهاد الإسلامي .

وهذه الفتوحات الإسلامية تُعد من أكبر حسنات الفاتحين لما فيها من الإعانة على البر والتقوى ، والدال على الخير كفاعله ، ولئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النعم ، والمسلم عندما يخرج من ماله وأهله وولده مجاهداً في سبيل الله ، يفعل ذلك نزولاً على أمر الله وابتغاء مرضاته ، ما يفعل ذلك رياءاً ولا سمعة ، ولكن طلباً للنصر أو الشهادة ، وقد كان فتح مصر من أيسر الفتوح الإسلامية وأقلها مؤونة إذا قورن هذا الفتح بغيره ، ففتح بلاد الشام استغرق ما يقرب من ثمانِ سنوات ، وفتح المسلمين للعراق استغرق نحو ثمان عشرة سنة ، على حين ظل المسلمون يحاولون فتح بلاد الغرب في فترة تزيد عن خمسين سنة .

والبعض يُرجع فتح مصر لخيانات الحكام والقواد الرومان ، بينما يرى « يوحنا الينقيوس » أن الجنود المصريين الذين اشتركوا في جيش الرومان امتنعوا عن الدفاع وألقوا أسلحتهم ، وأنهم كانوا يقتلون الجنود الرومان ، كما يعترف أيضًا بأن المصريين ساعدوا الفاتحين العرب في حملة الدلتا وحملة الصعيد ، وهذه المساعدة تمثلت في إقامة الجسور والقناطر للمسلمين وإمداد جيوشهم بالمؤن والأخبار ، وقد كان لانتهاك الرومان لحقوق المصريين واعتدائهم على الأديرة وعلى الكنيسة اليعقوبية أثر كبير في هذا الموقف من الفاتحين ، هذا بالإضافة إلى الصلات الكبيرة بين المصريين والمسلمين والتي كانت سابقة على الفتح الإسلامي .

وما كان بطرك الأقباط « بنيامين » يعلم بقدوم المسلمين حتى أذاع منشوره المشهور يحث فيه المواطنين

على مساعدة الفاتحين ، وبمقتضى هذا الفتح حصل المصريون على ميزات كثيرة ، ومن ذلك استرداد الكنيسة اليعقوبية لأملاكها المصادرة كاملة ، واسترد رجالها ورهبانها حقوقهم كاملة ، ولا يقال هنا أن المصريين قد نالوا هذه الحقوق وتمتعوا بهذه الامتيازات في مقابل مساعدتهم للفاتحين ، وإلا فالمسلم يصدر عن شرع ربه في قوله وفعله وفي غضبه ورضاه ، ومع الأصدقاء والخصوم وهو مأمور بطاعة الله فيمن عصى الله فيه .

وقد حفظ المسلمون في أقباط مصر وصية رسول الله ﷺ فقد أوصى بأهل مِصْرَ خيراً ، فإن لهم نسبًا ورحمًا ، فهاجر أم إسماعيل عليه السلام من مصر ، ومارية القبطية هي التي أهداها المقوقس حاكم مصر لرسول الله ﷺ ، وقد ولدت له ابنه إبراهيم عليه السلام ، فكانت بذلك

أم ولد ـ ولم يسلم عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه فاتح مصر من الهمز والغمز واللمز وشأنه في ذلك كشأن غيره من الأفاضل كأبي ذر وأبي هريرة ومعاوية رضي الله عنهم .

ومن المعلوم أن كل صحابي أفضل من كل من جاء بعده ويكفيهم شرف الصحبة وهم خيار أولياء الله المتقين ، نقلوا لنا الإسلام ، فجزاهم الله عنا خير الجزاء ، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ، والهفوات التي بدرت مغمورة وسط جبال من الحسنات ، ولذلك كان الواجب أن نمسك عما حدث وشجر بينهم ، وألا نغالي ونسود الصحائف لأمور لم يثبت أنها بدرت ، ولو حدثت لكان لها دوافعها ومبرراتها ، ولابد من إحسان الظن بالصحابة رضي الله عنهم وعلماء الأمة وصالحيها ، ونحن لا نقبل الطعن في عمرو بن العاص أو جحد فضله ، كما لا نقبل أيضاً انتقاص الصحابة الكرام ، إذ هذا الطعن يجر

إلى إضاعة الدين .

وكان أيوب السختياني يقول :« إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من صحابة رسول الله ﷺ فاعلم أنهم أرادوا أن يتحرجوْا شهودنا ليعطلوا العمل بالكتاب ، والجرح بهم أولى وهم زنادقة » .

ولذلك قبل أن نتكلم في تفاصيل فتح مصر ننقل بعض المعاني التي ذكرها الذهبي عن عمرو بن العاص رضي الله عنه في كتاب « سير أعلام النبلاء » ، لنعلم أن الدهاء الذي اتصف به كان لبصره بالأمور ولقدرته على حل المعضلات ، وقد تأمر على مثل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فعمرو هو :

ابن وائل الإمامُ أبو عبد الله ، ويقال : أبو محمد السهمي ، داهيةُ قريش ورجل العالم ، ومن يُضرب به

المثلُ في الفطنة والدهاء والحزم .

هاجر إلى رسول الله ﷺ مُسلمًا في أوائل سنة ثمان ، مرافقًا لخالد بن الوليد ، وحاجب الكعبة عثمان ابن طلحة ، ففرح النبي ﷺ بقدومهم وإسلامهم ، وأمَّر عمرًا على بعض الجيش وجهزه للغزو .

له أحاديث ليست كثيرة ؛ تبلغ بالمكرر نحو الأربعين ، اتفق البخاري ومسلم على ثلاثةٍ منها ، وانفرد البخاري بحديث ، ومسلم بحديثين وروى أيضًا عن عائشة رضي الله عنها .

حدَّث عنه : ابنه عبد الله ، ومولاه أبو قيس ، وقبيصة بن ذُويب ، وأبو عثمان النهدي ، وعلي بن رباح وقيس بن أبي حازم ، وعُروة بن الزبير ، وجعفر بن المطلب بن أبي وادعة ، وعبد الله بن مُنَيْن ، والحسنُ

البصري مُرسلاً ، وعبد الرحمن بن شُماسة المهري ، وعُمارة بن خُزيمة بن ثابت ، ومحمد بن كعب القُرظي ، وأبو مُرَّة مولى عقيل ، وأبو عبد الله الأشعري وآخرون .

قال الزُّبير بن بكار : هو أخو عُروة بن أثاثة لأمِّه ، وكان عُروة ممن هاجر إلى الحبشة .

وقال أبو بكر بن البَرْقي: كان عَمْرو قصيراً يخضِبُ بالسواد ، أسلم قبل الفتح سنة ثمان ، وقيل : قَدِمَ هو وخالد ، وابن طلحة في أول صفر منها .

قال البخاري : ولاه النبي ﷺ على جيش ذات السلاسل ، نزل المدينة ثم سكن مِصْرَ وبها مات .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « **ابنا العاصِ مؤمنان ، عمرو وهشام** » [إسناده حسن] .

قال طلحة : ألا أحدثكم عن رسول الله ﷺ بشيء ؟ ، إني سمعته يقول : « **عمرو بن العاص من صالحي قريش ؛ نِعْمَ أهلُ البيت أبو عبد الله ، وأُمُّ عبد الله ، وعبدُ الله** » [رواه أحمد] .

وعن إبراهيم النخعي قال : عقدَ رسول الله ﷺ لواءً لعمرو على أبي بكر وعُمر وسراةِ أصحابه ، قال الثوري : أراهُ قال : في غزوة ذاتِ السلاسل .

وعن قبيصة بن جابر : قد صحبتُ عمرو بن العاص ، فما رأيت رجلاً أبينَ أو أنصعَ رأيًا ، ولا أكرمَ جليسًا منه ، ولا أشبه سريرةً بعلانيةٍ منه .

قال محمد بن سلام الجُمْحيّ : كان عُمر إذا رأى الرجل يتلجلجُ في كلامه ، قال : خالقُ هذا وخالقُ عَمْرو ابنِ العاص واحد .

روى موسى بن علي ، عن أبيه ، سمع عمراً يقول : لا أَمَلُّ ثَوْبي ما وسعني، ولا أَملُّ زوجتي ما أحسنَتْ عِشْرَتي ، ولا أملُّ دابَّتي ما حملَتْني ، إن الملال من سيء الأخلاق .

عن الشعبي قال : دُهاةُ العرب أربعة : معاوية ، وعمرو ، والمغيرة ، وزيادُ ، فأما معاوية فللأناة والحِلْم ، وأما عمرو فللمُعضلاتِ ؛ والمغيرة للمُبادهة ، وأما زياد فللصغير والكبير .

وقال أبو عمرو بن عبد البر : كان عمرو من فرسان قُريش وأبطالِهم في الجاهلية ، مذكوراً بذلك فيهم ، وكان شاعراً حسن الشعر ، حُفظ عنه منه الكثير في مشاهد شتَّى ، وهو القائل :

إن المرءُ لَمْ يتركْ طعامًا يُحبُّهُ

ولم ينْهَ قَلبًا غاويًا حيث يمَّما

قضى وطرًا منه وغادَرَ سُبَّةً

إذا ذُكِرت أمثالُها تملأ الفَمَا

وكان أسنَّ من عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فكان يقولُ : إني لأذكر الليلة التي وُلِدَ فيها عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

قال الذهبي : وقد سُقنا من أخبار عمرو في المغازي وفي مسيره إلى النجاشي ، وفي سيرة عمر بن الخطاب ، وفي الحوادث ، وأنه افتتحَ إقليم مصر وولي إمْرَتَهُ زمنَ عُمر ، وصدرًا من دولة عثمان ، ثم أعطاه معاوية الإقليم ، وأطلق له مَغَلَّةُ ست سنين لكونه قام بنصرته ، فلم يلِ مصْرَ من جهة معاوية إلا سنتين ونيّفًا ، ولقد خلَّفَ من الذهب قناطير مقنطرة .

وقد سبقت من أخباره في « تاريخ الإسلام » جملة ، وطوَّل الحافظ ابن عساكر ترجمته .

وكان من أحسن رجال قريش رأيًا ودَهَاءً ؛ وحزمًا وكفاءًا ، وبصرًا بالحروب، ومن أشرف ملوك العرب، ومن أعيان المهاجرين ، والله يغفر له ويعفو عنه، ولولا حُبُّه للدنيا ودخولُه في أمور، لصلح للخلافة ، فإن له سابقة ليست لمعاوية ، وقد تأمَّر على مثل أبي بكر وعمر ، لبصرِه بالأمور ودهائه .

عن حبيب بن أوس قال : حدثني عمرو بن العاص قال : لما انصرفنا من الخندق جمعتُ رجالاً من قريش ، فقلت : والله إن أمر محمدٍ يَعْلُو عُلوًّا منكرًا ، والله ما يقومُ له شيء ، وقد رأيت رأيًا ، قالوا : وما هو ؟ ، قلتُ : أن نلحق بالنجاشي على حاميتنا ، فإن ظفر قومنا

فنحن ممن قد عرفوا ، نرجعُ إليهم ، وإن يظهرْ محمد فنكون تحت يدي النجاشي أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدي محمد، قالوا : أصبتَ . قلت : فابتاعوا له هدايا ، وكان من أعجب ما يُهدى إليه من أرضنا الأدَمُ ، فجمعنا له أدَمًا كثيرًا ، وقدمْنا عليه ، فوافقنا عنده عَمْرو بن أمية الضمْري ، قد بعثه النبي ﷺ في أمر جعفر وأصحابه ، فلما رأيته قلت: لعلِّي أقتله . وأدخلت الهدايا ، فقال : مرحبًا وأهلاً بصديقي ، وعجب بالهدية ، فقلتُ : أيها الملك ! إني رأيتُ رسول محمدٍ عندك ، وهو رجلٌ قد وترنا ، وقتل أشرافنا ، فأعطنيه أضرب عنقه ؛ فغضب ، وضرب أنفه ضربةً ظننتُ أنه قد كسره ، فلو انشقَّتْ لي الأرض دخلتُ فيها ، وقلتُ : لو ظننت أنك تكره هذا لم أسألكه . فقال : سألتني أن أعطيَكَ رسولَ رجلٍ يأتيه الناموسُ

الذي كان يأتي موسى الأكبر تقتُله ؟!! ، فقلت : وإن ذاك لكذلك ؟ ، قـال : نعم . والله إني لك ناصح فاتبعْهُ ، فوالله ليظهرنَّ كما ظهر موسى وجنوده . قلت : أيها الملك ، فبايعني أنت له على الإسلام ، فقال : نعم . فبسط يديه ، فبايعتُه لرسول الله ﷺ على الإسلام، وخرجتُ على أصحابي وقد حال رأْي ، فقالوا : ما وراءك ؟ ، فقلت : خير ، فلما أمسيتُ جلستُ على راحلتي ، وانطلقتُ وتركتُهم ، فوالله إني لأهوى إذ لقيتُ خالد بن الوليد ، فقلت : إلى أين يا أبا سُليمان ؟ ، قال : أذهبُ والله أُسلم ، إنه والله قد استقام الميسم، إن الرجل لنبي ما أشكُّ فيه ، فقلتُ: وأنا والله . فقدمْنا المدينة ، فقلتُ يا رسول الله : أبايعك على أن يُغفَر لي ما تقدَّم من ذنبي، ولم أذكُرْ ما تأخَّر، فقال لي : « **يا عمرو بايعْ ، فإنَّ الإسلام يجُبُّ ما**

كان قبلَهُ » .

وعن ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب عن سويد ابن قيس،عن قيس ابن سمي ، أن عمرو بن العاص **قال** : يا رسول الله ؛ أبايعك على أن يُغْفَر لي ما تقدم من ذنبي ؟ ، قال : « **إن الإسلام والهجْرة يَجُبَّان ما كان قبلَهُما** » ، قال : فوالله إني لأشدُّ الناس حياءً من رسول الله ﷺ ، فما ملأتُ عيني منه ولا راجعتُه .

[رواه أحمد] .

عن الزهري قال : لما رأى عمرو بن العاص أمر النبي ﷺ يظهر ، خرج إلى النجاشي وأهدى له ، فوافق عنده عمرو بن أُمية في تزويج أم حبيبة ، فلقى عمرو عمرًا فضربه وخنقه ، ثم دخل على النجاشي فأخبره ، فغضب وقال : والله لو قتلتَهُ ما أبقيتُ منكم أحداً ،

أتقتلُ رسول رسول الله ؟ ، فقلت : أتشهدُ أنه رسول الله ؟ ، قال : نعم ، فقلت : وأنا أشهد ؛ ابسُطْ يديك أبايعْكَ ، ثم خرجتُ إلى عمرو بن أمية فعانقته وعانقني ، وانطلقتُ سريعاً إلى المدينة ، فأتيت رسول الله ﷺ ، فبايعتُه على أن يُغفرَ لي ما تقدم من ذنبي . خبر منقطع .

عن عمير بن إسحاق : استأذن جعفر رسول الله ﷺ قال : ائذن لي أن آتي أرضًا أعبدُ الله فيها لا أخاف أحداً ، فأذن لي ؛ فأتى النجاشي ، قال عمير : فحدثني عمرو بن العاص قال : لما رأيت مكانه حسدته ، فقلت للنجاشي : إن بأرضكَ رجلاً ابنُ عمِّه بأرضنا ، وإنه يزعم أنه ليس للناس إلا إلهٌ واحد ، وإنك والله إن لم تقتله وأصحابه ، لا أقطع هذه النُّطْفَة - أي ماء البحر -

إليك أبدًا ، قال : ادْعُه . قلت : إنه لا يجيء معه ، فأرسل إليه معي رسولاً فجاء ، فلما انتهينا إلى الباب ، ناديتُ : ائذن لعمرو بن العاص ، ونادى هو : ائذن لحِزْبِ الله ، فسمع صوْتَهُ ، فأذِنَ له ولأصحابه ، ثم أذِنَ لي ، فدخلتُ فإذا هو جالس ، فلما رأيته جئت حتى قعدت بين يديه ، فجعلتُهُ خلفي ، قال : وأقعدتُ بين كل رجلين من أصحابه رجلاً من أصحابي ، فقال النجاشي : نَخِّروا - أي تكلموا - فقلت : إن ابن عمٍّ هذا بأرضنا يزعم أن ليس إلا إله واحد ، قال : فتشهَّد ، فإني أولُ ما سمعتُ التشهُّد ليومئذ ، وقال : صدق ، هو ابن عمِّي وأنا على دينه . قال : فصاحَ صياحًا ، وقال : أوَّه ، حتى قلتُ : ما لابن الحبشية ؟ ، فقال : ناموسٌ مثل ناموس موسى ، ما يقول في عيسى ؟ ، قال : يقول : هو روح الله وكلمتُه ، فتناول شيئًا من الأرض ، فقال :

مـا أخطأ من أمْـرِه مـثل هذه . وقـال : لولا مُلكي لاتبعتُكم .

وقال لعمرو : ما كنت أبالي أن لا تأتيني أنت ولا أحدٌ من أصحابك أبدًا . وقال لجعفر: اذهب فأنت آمنٌ بأرضي ، مَنْ ضربك قتلته. قال : فلقيتُ جعفرًا خاليًا ، فدنوتُ منه ، فقلتُ : نعم ، إني أشهد أنْ لا إله إلا الله وأن مُحمَّدًا رسول الله وعبده ، فقال : هداك الله . فأتيت أصحابي شهدوهُ معي ، فأخذوني ، فألقوا عليَّ قَطيفة ، وجعلوا يغُمُّوني ، وجعلتُ أُخرجُ رأسي من هنا ومن هنا ، حتي أفلتُّ وما عليَّ قشرة ، فلقيتُ حبشيةً فأخذتُ قناعَها ، فجعلتُه على عوري ، فقالت كذا وكذا ؛ وأتيت جعفرًا ، فقال : ما لك ؟ ، قلتُ : ذُهب بكل شيء لي ، فانطلق معي إلى باب الملك ، فقال : ائذنْ لحزب الله ، فقال آذنُه : إنه مع أهله ، قال : استأذنْ

لي ، فأذنَ لَهُ . فقال : إن عمراً قد بايعني على ديني ، فقال : كلا . قال : بلى . فقال لإنسان : اذهبْ فإن كان فعل فلا يقولنَّ لك شيئًا إلا كتبتَه . قال : **فجاء فجعل** يكتب ما أقول ، حتى ما تركنا شيئًا حتى القدح ، ولو شاء أن آخذ من أموالهم إلى مالي لفعلت .

وعن عمرو قال : حضرت بدراً مع المشركين ، ثم حضرتُ أُحُداً ، فنجوت ، ثم قلت : كم أوضع ؟ ، فلحقت بالوَهْط - قرية بالطائف - ولم أحضُرْ صُلْحَ الحُدَيبية .

وعن موسى بن طلحة ، عن أبيه ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « **إن عمرو بن العاص لرشيدُ الأمر** »[إسناده ضعيف] .

وعن عقبة ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **أسلم**

الناس وآمن عمرو بن العاص »[إسناده حسن] .

عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن عمه عن النبي ﷺ : « **ابنا العاص مؤمنان** » .

[ضعيف وله شاهد حسن] .

وعن عمرو بن العاص قال : كان فَزَعٌ بالمدينة ، فأتيت سالمًا مولى أبي حذيفة وهو مُحتب بحمائل سيف ، فأخذت سيفًا فاحتبيتُ بحمائله ، فقال رسول الله ﷺ : « **أيها الناس ، ألا كان مفزعُكُم إلى الله ورسوله ، ألا فعلتم كما فعل هذان المؤمنان** » .

[إسناده حسن] .

عن ابن يخامر السكسكي أن رسول الله ﷺ قال : « **اللهم صلِّ على عمرو بن العاص ، فإنه يُحبُّك ويُحبُّ رسولك** »[منقطع] .

عن علقمة بن رمْثَة أن رسول الله ﷺ بعث عمرو بن العاص إلى البحرين ، فخرج رسولُ الله في سرية ، وخرجنا معه ، فَنَعَس ، وقال : « **يرحمُ الله عمراً** » ، فتذاكرنا كل من اسمه عمرو . فَنَعَس رسول الله ﷺ ثم قال : « **رحم الله عمراً** » ، ثم نَعَس الثالثة ، فاستيقظ ، فقال : « **رحم الله عمراً** » ، قلنا يا رسول الله ، مَنْ عمرو هذا ؟ ، قال : « **عمرو بن العاص** » ، قلنا : وما شأنه ؟ ، قال : « **كنتُ إذا نَدَبْتُ الناسَ إلى الصدقة ، جاء فأجزلَ منها ، فأقول : يا عمرو ! أنَّى لك هذا ؟ ، فقال : منْ عند الله ، قال : وصدق عَمرو ؛ إنَّ له عند الله خيراً كثيراً** » .

وعن عمرو بن العاص قال : ما عَدَل بي رسولُ الله ﷺ وبخالد مُنذُ أسلمنا أحداً من أصحابه في حربه .

وعن موسى بن عُلَي عن أبيه ؛ سمع عمرًا ، يقول : بعث إليَّ رسول الله ﷺ ؛ فقال : « **خُذْ عليك ثيابك وسلاحك ثم ائتني** » ، فأتيتُه وهو يتوضأ ، فصعَّدَ فيَّ البصَرَ وصوَّبه ، فقال : « **إني أريد أن أبعثك على جيشٍ ، فيُسلِّمَكَ الله ويُغنمك ، وأرغبُ لك رغبةً صالحةً من المال** » ، قلتُ : يا رسول الله ! ما أسلمتُ من أجل المال ، ولكني أسلمت رغبةً في الإسلام ، ولأن أكونَ مع رسول الله قال يا عمرو : « **نِعِمَّا بالمال الصالح للرجل الصالح** » .

[رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد] .

عن قيس قال : بعث رسول الله ﷺ عمرًا في غزوة ذات السلاسل ، فأصابهم بردٌ ، فقال لهم عمرو : لا يُوقدنَّ أحدٌ نارًا ، فلما قَدمَ شكوهُ ، قال : يا نبي الله !

كان فيهم قِلَّة ، فخشيتُ أن يَرَى العدوُّ قلَّتهم ، ونهيتُهم أن يتبعوا العدو مخافة أن يكون لهم كمين ، فأعجب ذلك رسول الله ﷺ .

وعن ابن بُريدة ، قال عُمر لأبي بكر : لم يَدَعْ عمرو ابنُ العاص « الناس » أن يوقدوا نارًا ، ألا ترى ما صنع الناس ، يمنعهم منافِعهم ؟ ، فقال أبو بكر : دَعْهُ ، فإنما ولأه رسول الله علينا لعلمِه بالحرب .

وصح عن أبي عثمان النهديٍّ عن عمرو أن النبي ﷺ استعمله على جيش ذات السلاسل وفيهم أبو بكر وعمر .

عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص أن عمرًا كان على سَرِيَّةٍ فأصابهم بردٌ شديد لم يرو مثله ، فخرج لصلاة الصبح ، فقال : احتلمت « البارحة » ولكني والله

ما رأيتُ بَرْدًا مثل هذا ، فغسل مغابِنَه وتوضَّأ للصلاة ، ثم صَلَّى بهم ، فلما قدم على رسول الله ﷺ سأل رسول الله ﷺ أصحابَهُ : « **كيف وجدتم عمراً وصحابته** » ، فأثنوا عليه خيرًا ، وقالوا يا رسول الله صلَّى بنا وهو جُنُب، فأرسل إلى عمرو فسأله ، فأخبره بذلك وبالذي لقى من البرد ، وقال : إن الله تعالى قال : ﴿ **وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** ﴾ [النساء : ٢٩] ، ولو اغتسلتُ مِتُّ ، فضحكَ رسول الله ﷺ .

[رواه أبو داود والبيهقي والحاكم بإسناد صحيح] .

قال رجلٌ لعمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أرأيت رجلاً ما رسول الله ﷺ وهو يُحبُّه أليس رَجُلاً صالحًا ؟ ، قال : بلى . قال : قد مات رسول الله ﷺ وهو يُحبُّك ، وقد استعملك . قال : بلى . فوالله ما أدري أَحُبًّا كان لي منه

أو استعانةً بي ، ولكن سأحدِّثُكَ برجلين مات وهو يُحِبُّهُما ؛ ابن مسعود وعمار ، فقال : ذاك **قتيلُكم** بِصفِّين . قال : قد والله فعلنا .

[رواه أحمد ورجاله ثقات] .

وعن معتمر : حدثنا عوف ، عن شيخ من بكر بن وائل : أن النبي ﷺ أخرج شقة خميصة سوداء ، فعقدها في رمح ، ثم هزَّ الراية ، فقال : « **مَنْ يأخُذُها بحقِّها** » ؟ ، فهابها المسلمون [من أجل الشرط] ، فقام رجلٌ فقال : يا رسول الله وما حقها ؟ ، قال : « **لا تُقاتِلُ بها مُسلمًا ، ولا تَفِرُّ بها عن كافر** » .قال : فأخذها ، فنصبها علينا يوم صفين ، فما رأيت رايةً كانت أكسر أو أقصمَ لظهور الرجال منها ، وهو عمرو ابن العاص . سمعه منه أميَّةُ بن بسطام .

ولما تُوفي النبي ﷺ كان عمرو على عُمان ، فأتاه كتابُ أبي بكر بوفاة رسول الله ﷺ .

وعن سعيد بن نشيط ، أن قُرَّة بن هبيرة قدم على رسول الله ﷺ فأسلم ... الحديث .

وفيه : فبعث عمراً على البحرين ، فتوفي وهو ثَمَّ . قال عمرو : فأقبلتُ حتى مررتُ على مسيلمة ، فأعطاني الأمان ، ثم قال : إن محمداً أرسل في جسيم الأمور ، وأُرسِلْتُ في المحقَّرات . قُلت : اعرضْ عليَّ ما تقولُ . فقال : يا ضفدعُ نقِّي فإنك نعم ما تنقِّين ، لا زاداً تنقّرين ولا ماءً تكدِّرين ، ثم قال : يا وَبْرُ يا وَبْر ، ويدان وصد ، وبيان خلقه حفر . ثم أتى بأناس يختصمون في نخلاتٍ قطعها بعضهم لبعض ، فتسجَّى قطيفةً ، ثم كَشَفَ رأسه ، ثم قال : والليل الأدْهم ،

والذِّئب الأسحم ، ما جاء ابنُ أبي مسلم من مجرم . ثم تسجَّى الثانية ، فقال : والليل الدامس ، والذئب الهامس ، ما حُرْمَتُه رطبًا إلا كَحُرْمَتِه يابس ، قوموا فلا أرى عليكم فيما صنعتم بأسًا .

قال عمرو : أما والله إنك كاذب ، إنك لتعلم إنك لمن الكاذبين ، فتوعدني . [ضعيف] .

روى ضَمْرة ، عن الليث بن سعد ، قال : نظر عُمر إلى عمرو بن العاص ، فقال : ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلا أميرًا .

وشهد عمرو رضي الله عنه يوم اليرموك ، وأبلى يومئذٍ بلاءً حسنًا . وقيل : بعثه أبو عبيدة ، فصالح أهل حلب وأنطاكية ، وافتتح سائر قنسرين عنوةً .

وقال خليفة : ولَّى عُمر عَمرًا فلسطين والأردن ، ثم

كتب إليه عُمر فسار إلى مصر ، وافتتحها ، وبعث عُمرُ الزُّبير مددًا له .

وقال ابنُ لهيعة : فتح عمرو بن العاص الإسكندرية سنة إحدى وعشرين، ثم انتقضوا في سنة خمس وعشرين.

وقال الفَسَوي : كان فتح ليون سنة عشرين وأميرُها عمرو .

وقال خليفة : افتتح عمرو طرابلس الغرب سنة أربع وعشرين وقيل : سنة ثلاث .

وعن خالد بن عبد الله : عن محمد بن عمرو عن أبيه عن جدِّه ، قال : قال عمرو بن العاص : خرج جيشٌ من المسلمين أنا أميرهم حتى نزلنا الإسكندرية ، فقال عظيمٌ منهم : أخرِجوا إليَّ رجلاً أكلِّمه ويُكلِّمني .

فقلتُ : لا يخرجُ إليه غيري ، فخرجتُ معي ترجماني ، ومعه ترجمان حتى وُضِعَ لنا منبران . فقال : ما أنتم ؟ ، قلتُ : نحنُ العرب ، ومن أهل الشوك والقرظ ، ونحنُ أهل بيت الله ، كنا أضيق الناس أرضًا وشرَّهُ عيشًا ، نأكل الميتة والدم ، ويُغير بعضُنا على بعض ، كنا بشرِ عيشٍ عاش به الناس ، حتى خرج فينا رجلُ ليس بأعظمنا يومئذ شرفًا ولا أكثرنا مالاً ، قال : أنا رسول الله إليكم ، يأمرُنا بما لا نعرف ، وينهانا عما كُنَّا عليه ، فشنفْنا له ، وكذَّبْناه ، ورددْناه عليه ، حتى خرج إليه قومٌ من غيرنا ، فقالوا : نحن نُصدِّقُك ، ونقاتلُ من قاتلك ، فخرج إليهم ، وخرجنا إليه ، وقاتلناه ، فظَهَرَ علينا ، وقاتلَ من يليه من العرب ، فظَهَر عليهم ، فلو تعلم ما ورائى من العرب ما أنتم فيه من العيش لم يبق أحدٌ إلا جاءكم ، فضحك ، ثم قال : إن رسولكم قد

صدق وقد جاءتنا رسلُ بمثل ذلك ، وكنا عليه حتى ظهرت فينا ملوكٌ ، فعلموا فينا بأهوائهم ، وتركوا أمر الأنبياء، فإن أنتم أخذتم بأمر نبيكم ، لم يقاتلكم أحد إلا غالبتُمُوه ، وإذا فعلتُم مثل الذي فعلنا ، فتركُتم أمر نبيكم ، لم تكونوا أكثر عدداً منا ولا أشدَّ منا قوَّة .

قال الزهريُّ : استخلف عثمانُ ، فنَزَع عن مصر عمراً ، وأمَّرَ عليها عبد الله بن أبي سرح .

لما وقعتْ الفتنة مازال عمرو بن العاص مُعتصماً بمكة حتى كانت وقعةُ الجمل ، فلما كانت بعث إلى والديه عبد الله ومحمد ، فقال : قد رأيتُ رأياً ، ولستُما باللذين تردَّاني عنه ، ولكن أشير عليَّ ، إني رأيت العرب صاروا غَارَيْن يضطربان ، فأنا طارح نفسي بين جزاري مكة ، ولستُ أرضى بهذه المنزلة ، فإلى أيٍّ

الفريقين أعمد ، قال عبد الله : إنْ كنتَ لابُدَّ فاعلاً فإلى عليٍّ ، قال : ثكلتك أُمّكَ ، إني إنْ أتيتهُ ، قال لي : إنما أنت رجلٌ من المسلمين ، وإن أتيتُ معاوية ، خلطني بنفسه وشركني في أمره ، فأتى مُعاوية .

وقيل : إنه قال لعبد الله : إنك أشرت عليَّ بالقعود وهو خيرٌ لي في آخرتي ، وأما أنت يا محمد ، فأشرت عليَّ بما هو أنْبَهُ لذكري ، ارتحلا ، فأتى معاوية ، فوجده يقصُّ ويذكِّرُ أهل الشام في دم الشهيد ، فقال له : يا معاويةُ ، قد أحقرت كبدي بقصصك ، أترى إن خالفنا عليًّا لفضل منّا عليه ؟ ، لا والله ، إن هي إلا الدنيا نتكالبُ عليها ، أما والله لتقطعنَّ لي من دنياك أو لأنابذنَّك ، فأعطاه مصر ، وقد كان أهلها قد بعثوا بطاعتهم إلى عليٍّ .

وعن الطبراني ، عن يعلى بن شداد بن أوس ، عن أبيه : أنه دخل على مُعاوية ، وعمرو بن العاص معه ، فجلس شدادٌ بينهما ، وقال : هل تدريان ما يُجلسني بينكما ؟ ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « **إذا رأيتُمُوهما جميعًا ففرقوا بينهما ، فوالله ما اجتمعا إلا على غدرة** ».

وقيل : كتب عليّ إلى عمرو ، فأقرأه معاوية وقال : قد ترى [ما كتب إليَّ عليّ] ، فإما أن تُرْضيني ، وإما أن ألحق به . قال : ما تريدُ ؟ ، قال : مصر ، فجعلَهَا له .

عن يزيد بن أبي حبيب ، وعن عبد الواحد بن أبي عون قالا : لما صار الأمر في يد مُعاوية ، استكثر مصر طُعمةً لعمرو ما عاش ، ورأى عمر وأن الأمر كله قد

صلح به وبتدبيره ، وظنَّ أن معاوية سيزيده الشام ، فلم يفعل ، فتنكر له عمرو ، فاختلفا وتغالظا ، فأصلح بينهما معاوية بن حُديج ، وكتب بينهما كتابًا بأن : لعمرو ولاية مصر سبع سنين ، وأشهد عليهما شُهودًا ، وسار عمرو إلى مِصْرَ سنة تسعٍ وثلاثين ، فمكث نحو ثلاث سنين ومات .

عن جُويرية بن أسماء ؛ أن عمرو بن العاص قال لابن عباس : يا بني هاشم ، لقد تقلَّدتُم بقتل عثمان فَرَمَ الإماء العوارِك ، أطعتُم فُسَّاقَ العراق في عَيْبه ، وأجزرتموه مُرَّاق « فُسَّاق » أهل مصر ، وآويتم قتلته . فقال ابن عباس : إنما تكلم لمعاوية، إنما تكلم عن رأيك، وأن أحق الناس أن لا يتكلم في أمر عثمان لأنتما ، أما أنت يا معاوية فزينت له ما كان يصنع ، حتى إذا حُصِرَ طلب نصرك ، فأبطأت « عنه، وأحببت قتله » وتربصت

به ، وأما أنت يا عمرو ، فأضرمت عليه المدينة ، وهربت إلى فلسطين تسأل عن أنبائه ، فلما أتاك قتله ، أضافتك عداوة عليٍّ أن لحقت بمعاوية ، فبعت دينك بمصر . فقال معاوية : حسبُك ، عرَّضني لك عمرو ، وعرَّض نفسه .

قال محمد بن سلام الجمحي : كان عُمر إذا رأى من يتلجلج في كلامه، قال: هذا خالقه خالقُ عمرو بن العاص.

وعن مجالد : عن الشعبي ، عن قبيصة بن جابر : صحبت عمر فما رأيت أقرأ لكتاب الله منه ، ولا أفقه ولا أحسن مُداراةً منه ، وصحبتُ طلحة فما رأيت أعطى لجزيلٍ من غير مسألة منه ، وصحبتُ معاوية فما رأيت أحلمَ منه . وصحبت عمرو بن العاص فما رأيت

رجلاً أبين - أو قال - أنصعَ طرفًا منه ، ولا أكرم جليسًا منه . وصحبتُ المغيرة فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بمكر لخرج من أبوابها كلها .

وكان عمرو يسرد الصوم ، وقال كان يُصيب من العشاء أول الليل وسمعته يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب ، أكلةُ السحر** » .

أدخل عمرو في تعريش الوهط - بستانٍ بالطائف - ألف ألف عود ، كل عود بدرهم .

وقال ابن عُيينة : قال عمرو بن العاص : ليس العاقل مَنْ يعرفُ الخير من الشرِّ ، ولكن هو الذي يعرف خير الشرَّين .

عن قتادة ، قال : لما احتضر عمر بن العاص رضي الله عنه

قال : كيلوا مالي ، فكالوه ، فوجدوه اثنين وخمسين مُدًّا . فقال : من يأخذه بما فيه ؟ ، يا ليته كان بعرًا . قال : والمدُّ ست عشرة أوقية ، والأوقية مكوكان .

عن الحسن قال : لما احتضر عمر بن العاص ، نظر إلى صناديق فقال : من يأخذها بما فيها ؟ ، يا ليته كان بعرًا ، ثم أمر الحرس فأحاطوا بقصره ، فقال بنوه : ما هذا ؟ ، ما ترون هذا يُغني عني شيئًا .

وعن ابن سعد : أخبرنا ابن الكلبي عن عوانة بن الحكم، قال : قال عمرو ابن العاص : عجبًا لمن نزل به الموت وعقلُه معه ، كيف لا يصفُه ؟ ، فلما نزل به الموت ، ذكَّره ابنه بقوله ، وقال : صِفْهُ . قال : يا بُنيَّ ! الموتُ أجلُّ من أن يُوصف ، ولكني سأصف لك؛ أجدني كأن جبال رضْوى على عُنُقي، وكأن في جوفي

الشوك ، وأجدني كأنَّ نفسي يخرجُ من إبرة .

وعن يونس : عن ابن شهاب ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن عمرو ؛ أن أباه قال حين احتُضِرَ : اللهم [إنك] أمرت بأمورٍ ، ونهيتَ عن أمور ، تركْنا كثيرًا مما أمرت ، ورتعنا في كثير مما نهيت ، اللهم لا إله إلا أنت . ثم أخذ بإبهامه ، فلم يزلْ يهلِّلُ حتى فاض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

جزع عمرو بن العاص عند الموت جزعًا شديدًا ، فقال ابنه عبد الله : ما هذا الجزعُ ، وقد كان رسول الله ﷺ يُدنيك ويستعملُك ! ، قال : أي بُني ! قد كان ذلك ، وسأخبرك ، إي والله ما أدري أحُبًّا كان أم تألُّفًا ، ولكن أشهد على رجلين أنه فارق الدنيا وهو يُحبُّهما ؛ ابن سُميَّة، وابن أُمِّ عبد . فلما جَدَّ به وضعَ يده موضع

الأغلال من ذقنه ، وقال : اللهم أمرتنا فتركنا ، ونهيتنا فركبنا ، ولا يسعُنا إلا مغفرتك . فكانت تلك هجِّيراه حتى مات . [رواه أحمد وإسناد صحيح] .

وعن ثابت البُناني قال : كان عمرو على مصر ، فثَقُل ، فقال لصاحب شرطته : أدْخِلْ وجوه أصحابك ، فلما دخلوا نظر إليهم وقال : ها قد بلغتُ هذه الحال ، ردُّوها عني ، فقالوا : مثلُك أيها الأمير يقولُ هذا ؟ ، هذا أمر الله لا مردَّ له . قال : قد عرفتُ ، ولكن أحببتُ أن تتعظوا ، لا إله إلا الله ، فلم يزل يقولُها حتى مات .

عن الحسن قال : بلغني أن عمرو بن العاص دعا حَرَسَه عند الموت ، فقال : امنعوني من الموت ، قالو ا : ما كنا نحسبُكَ تكلَّم بهذا . قال : قد قلتُها ، وإني لأعلم ذلك ؛ ولأن أكون لم أتَّخِذْ منكم رجلاً قط

يمنعني من الموت أحبُّ إليَّ من كذا وكذا ، فيا ويح ابن أبي طالب إذ يقول : حَرَسَ امرءًا أجلُه . ثم قال : اللَّهُمَّ لا بريء فأعتذر ، ولا عزيز فأنتصر ، وإن لا تدركني منك رحمة ، أكنْ من الهالكين .

عن عبد الله بن عمرو ، أن أباه أوصاه :

إذا متُّ فاغسلني غسلةً بالماء ، ثم جفِّفْني في ثوب ، ثم اغسلني الثانية بماء قَرَاح ، ثم جفِّفْني ، ثم اغسلني الثالثة بماءٍ فيه كافور ، ثم جفِّفْني وألبسني الثيابَ ، وزرَّ عليّ ، فإن مُخاصم ، ثم إذا أنت حملتني على السرير ، فامش بي مشيًّا بين المشيتين ، وكن خلف الجنازة ، فإن مقدمها للملائكة ، وخلفها لبني آدم ، فإذا أنت وضعتني في القبر فسُنَّ [1] عليَّ التراب

[1] فسُنَّ : أي فصب عليَّ التراب صبًا ، ويروى بالشين : فشُنَّ عليَّ التراب شنًا ، وكلاهما بمعنى واحد .

سنًّا . ثم قال : اللهم إنك أمرتنا فأضعنا ، ونهيتنا فركبنا ، فلا بريء فأعتذر ، ولا عزيز فأنتصر ، ولكن لا إله إلا أنت . وما زال يقولُها حتى مات .

[إسناده قوي] .

قالوا : توفي عمرو رضي الله عنه ليلة عيد الفطر ، سنة إحدى وخمسين .

قال الذهبي : كان أكبر من عُمر بنحو خمس سنين ، كان يقول : أذكر الليلة التي ولد فيها عُمر ، وقد عاش بعد عمر عشرين عامًا ، فيُنتج هذا أن مجموع عمره بضعٌ وثمانون سنة ، ما بلغ التسعين رضي الله عنه .

هذا هو عمرو بن العاص رضي الله عنه القائد المسلم الذي تم فتح مصر على يديه (١٨هـ - ٦٣٩م) ، وقد عرض فكرة

فتح مصر على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعد تردد وتشاور استقر الرأي على اختيار عمرو بن العاص رضي الله عنه قائداً للجيوش الإسلامية لتدبيره وحُسن حيلته وحنكته بأمور القتال ، فضلاً عن اسمه كان يبعث الرهبة في نفوس الأعداء من الرومان ، وكانت سياسته رضي الله عنه تلقى من أهل مصر الرضا والتأييد ، ويعتبر عمرو رضي الله عنه من أشهر القادة جرأة وشجاعة ، فضلاً عن قوة إيمانه وطاعته وتنفيذه لأوامر عمر وعثمان من بعده رضي الله عنهم حتى ولو كانت على غير ما تهواه النفوس ، قيامًا بواجب الجهاد في سبيل الله .

وقد تم الفتح الإسلامي لمصر على مرحلتين ، الفتح الأول الذي تم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (٢٠هـ- ٦٤١م) بمقتضى معاهدة الإسكندرية كان صلحًا ، على حين كان الفتح الثاني عنوة في عهد الخليفة عثمان بن

عفان (٢٥هـ - ٦٤٦م) ، وقد أخذت الحصون والمدن تتساقط أمام جيوش المسلمين ، وتكبد جيش الأعداء خسائر فادحة في الأرواح والعتاد ، وقد أمد المصريون جيش المسلمين بالمؤن والأخبار، وأقاموا لهم الجسور والقناطر ، كما ساعدهم في حملات الدلتا والصعيد ، وكان فتح مصر بعد فتح بلاد الشام زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكانت قد عادت إلى حكم البيزنطية في عهد الامبراطور هرقل ، ويُذكر أن بعض القبائل العربية كانت قد انتقلت إلى مصر قبل الفتح كقبيلة لخم، وقد انتشرت هذه القبائل في الصحراء الشرقية حتى مدينة أسوان.

لقد زار مصر في الجاهلية للتجارة كثيرون ، منهم عثمان بن عفان ، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة ، والواقع أن فتح مصر كان بمثابة ضرورة لتأمين الفتوحات

الإسلامية في الشام من ناحية الجنوب وخصوصًا أن حاكم الروم كان قد هرب من مدينة بيت المقدس قبل تسليمها للمسلمين واعتصم بمصر ، فكان لابد من معالجته قبل أن يزداد نفوذه ويستفحل أمره .

وكان جيش المسلمين مكونًا من أربعة آلاف جندي ، وقد كان لعمرو بن العاص رضي الله عنه خبرة فائقة في قتال الحصون الساحلية ، وقد سار وفق خطة واضحة فانتقل من فلسطين في سنة (١٨هـ - ٦٣٩م) إلى مصر ، وكانت الخطة تقتضي انتزاع الحصون الفرعية من الروم محاصرة القاعدة الكبرى ومركز التجمع الرئيسي لقوات الروم في حصن بابليون ، فإذا تم الاستيلاء عليها تمكنوا من مهاجمة الإسكندرية من الخلف ، وهي أعظم القواعد البحرية في حوض البحر المتوسط في عهد الرومان ، وهذا يدل على أن الخطة قد قامت على دراسة

شاملة القواعد والنظم العسكرية الرومانية ، وكان أول بلد استولى عليه المسلمون حين دخلوا مصر هو مدينة العريش ، ثم انتقلوا إلى مدينة الفرما وكانت حصينة على بعد ميل ونصف شرق بورسعيد الحالية ، وقد تم الاستيلاء عليها ، وانسحبت حامية الروم منها ، وتم هدم أسوارها وحصونها حتى لا يستفيد بها العدو لو عاد إلى الاستيلاء عليها مرة أخرى ، ثم واصلوا زحفهم إلى مدينة القنطرة ثم أخذوا طريق السويس الصحراوي مخترقين وادي الطميلات ، فمروا بمدينة القصاصين ، ثم مدينة التل الكبير حتى وصلوا إلى مدينة بلبيس ، وهناك تمكن عمرو بن العاص من أن يوقع بالروم هزيمة منكرة ، وكان قائدهم قد هرب من فلسطين عند اشتداد الحصار على بيت المقدس ، وقيل أن ابنة المقوقس حاكم مصر الروماني وجدت يومئذ ببلبيس وأُرسلت إلى أبيها

معززة مكرمة ، وقد فقد الروم في هذه المعركة ألف قتيل وثلاثة آلاف أسير .

وبعد بلبيس سار عمرو بن العاص إلى حصن بابليون الذي سماه المسلمون قصر الشمع ، وكان من أشهر المراكز العسكرية في مصر في عهد الرومان ، وتوجد بقاياه الآن في مصر القديمة بجوار كنيسة مارجرجس ، ومكانها الآن حديقة الأزبكية ، وفي هذا الحصن ظهرت المقاومة الحقيقية التي كان الرومان يستعدون لها منذ زمن بعيد ، لذلك بعث عمرو رضي الله عنه يطلب المدد من الخليفة عمرو بن الخطاب رضي الله عنه ، وشغل جنده بفتح إقليم الفيوم لتطويق حصن بابليون ، وحتى يحول بين حاميات الصعيد وبين الاتصال بهذه القاعدة ، وقد أرسل عمر بمدد قوامه أربعة آلاف وعلى رأسهم أربعة من القادة المشاهير وهم : الزبير بن العوام ، وعبادة بن

الصامت ، والمقداد بن عمرو ، ومسلمة بن مخلد ، وقد استطاع عمرو أن يقسم الجيش إلى ثلاثة أجزاء كانت بمثابة الكماشة التي أحاطت بالروم من جميع الجهات ، ودارت معركة رهيبة عند عين شمس ، وكان تيودور قائد الروم في مصر قد خرج للقتال على رأس جيش من عشرين ألف .

وفي هذه المعركة قتل عدد كبير من الروم وتمكن تيودور من الفرار إلى حصن بابليون حيث دارت هناك معركة تاريخية تُعد من أهم المعارك الحربية والفتوحات الإسلامية ، فقد كان هذا الحصن من أعظم الحصون الرومانية في الشرق كله ، وكان مزوداً بأحدث أسلحة العصر في مواجهة أسطول نهري عظيم للاشتراك في صد الفاتحين ، وقد تم محاصرة الحصن لمدة سبعة شهور ، ورأى المقوقس حاكم مصر تجنب إراقة الدماء

وأن تنسحب حامية الحصن إلى القلعة الأخيرة ، وهي قلعة الإسكندرية ، وعرض المسلمون عليه الإسلام أو الجزية أو القتال ، فواق على صلح مع عمرو بن العاص بموجبه يدفع المصريون جزية مقدارها ديناران على كل شخص بالغ ، ما عدا الشيوخ والأطفال والنساء .

وأن يكون للمسلمين حق النزول بين المصريين وحق الضيافة ثلاثة أيام وأن تبقى لهم أموالهم وأرضهم ، وهذا الصلح يُطلق عليه « معاهدة مصر » ، ولم يوافق الامبراطور هرقل على تنفيذ هذا الصلح واستدعى المقوقس وأهانه ثم نفاه لهذا السبب ، وفي هذه الآونة مات هرقل وانتشر المرض بين جند الحصن ، مما أضعف مقاومة الروم ، وبدأ المسلمون يستخدمون آلات الحصار في فتح الحصن المنيع ، وقد تم تسليم الحصن دون

مقاومة تُذكر .

ولعل صلحًا تم بين قائد الحامية الرومية وبين عمرو بموجبه تم إخلاء قاعدة بابليون ، ولذلك لم تسبى النساء ، كما لم يتم قتل الرجال أو أسر الأطفال ، بل تم دفع الجزية وتسليم محتويات الحصن من الذخائر وآلات الحرب ، وتمكن المسلمون بذلك من عزل مصر السفلى « الدلتا » عن مصر العليا « الصعيد »، واستغلت هذه القاعدة في إتمام الفتح الإسلامي .

وبعد فتح حصن بابليون سار المسلمون متجهين ناحية الإسكندرية حيث تم الاستيلاء على المدن الواقعة شرق دمياط وعلى الحصون الداخلية ووصلوا إلى مدينة نيقيوس « منوف » وكانت من أهم مدن مصر السلفى ، كما استولوا على الكريون وهزموا القائد الروماني

تيودور هزيمة ساحقة مما اضطره إلى الفرار مع نفر قليل من جنده ناحية الإسكندرية وتتبعهم المسلمون ولكنهم وجدوا مقاومة عنيفة مستندة على قلعة الإسكندرية ومن خلفها الأسطول البحري الضخم وكانت حاميتها العسكرية مزودة بأحدث الأسلحة العسكرية ومما اضطر المسلمون أن يصلوا صلاة الخائف وقد طال حصار الإسكندرية بسبب مناقتها مدة سنة وأربعة أشهر ، وكان عمر خلالها يستحث عمرو بن العاص على مواصلة القتال وتشديد الحصار .

وفي أثناء الحصار استطاع عمرو رضي الله عنه أن يهاجم بلدان البحيرة والغربية والشرقية ثم زحف إلى بلاد الوجه القبلي وفتح مدنًا كثيرة ، وفي أثناء الحصار توفي قسطنطين ابن هرقل ، وتولى بعده الامبراطور هرقل

الصغير « هرقلوناس » وكان تحت وصاية أمه ، واهتزت القسطنطينية عاصمة الدولة الرومانية ، وأصبح لا مفر من تسليم مصر للمسلمين في مقابل انقاذ دولتهم من الانهيار ، وقد أرسل الامبراطور هرقل الصغير المقوقس إلى مصر ، حيث عقد صلحًا مع عمرو بن العاص ، ويسمى هذا الصلح « صلح الاسكندرية » وقد سلمت حامية الإسكندرية بمقتضاه المدينة إلى المسلمين بدون قتال بعد أن وافق الامبراطور هرقل على هذا الصلح ، وقد عمت فرحة المسلمين في جميع أرجاء العالم الإسلامي بهذا الفتح المبين ، وتم ابلاغ عمر رضي الله عنه بهذا الخبر .

ويذكر أن الجالية الرومانية كان عددها مائتي ألف شخص وأن من فرضت عليهم الجزية كان عددهم نصف

مليون شخص تقريبًا ، وبعد فتح مدينة الإسكندرية سار عمرو بن العاص لغزو بعض المدن الساحلية فتم فتح رشيد والبرلس ، أما دمياط فقد سلمت للمسلمين بدون قتال .

وقد كان عمر رضي الله عنه يحاسب الولاة والأمراء محاسبة عسيرة إذ هم واجهة الإسلام ، وكان عمر يعتبر نفسه مسئولاً عن تصرفاتهم يوم القيامة ، ولذلك نجده يفعل مع عمرو بن العاص ما فعله مع أبي هريرة عامل البحرين ، ومع خالد بن الوليد أثناء وجوده في الشام ، بل عزل عمرو بن العاص عن ولاية الصعيد وقلدها عبد الله بن سعد ، وجعل له جباية الخراج ، وهذا شبيه بعزله سعد بن أبي وقاص فاتح إيران ، وعزله خالد بن الوليد رغم مكانتهم وفضلهم وجهادهم رضي الله عنهم أجمعين ،

ويأتي عثمان ويعزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر ويقلدها عبد الله بن سعد بن أبي السرح أخيه من الرضاع ، ويحاسب نفسي هذا الحساب العسير .

ويُذكر أن أهل الإسكندرية من الروم قد أرسلوا إلى الامبراطور الروماني قنسطانة الثاني يهونون عليه فتح الإسكندرية بل مصر كلها لقلة عدد الحامية الإسلامية ؛ وما للروم من قوة بحرية هائلة ، ويسألونه أن يخلصهم من حكم المسلمين ، وفعلاً تم تجهيز أسطول ضخم من ثلاثمائة سفينة بقيادة مانويل ؛ أعظم قادة الروم ، واستطاعوا الإستيلاء على الاسكندرية ؛ بل توغلوا في البلاد والقرى المجاورة حتى وصلوا إلى نيقيوس « منوف » ، لهذا عهد عثمان إلى عمر وتولى قتال الروم لإجلائهم ، ولم يتردد عمرو في تنفيذ ما أمره به الخليفة

وسرعان ما وصل إلى مقر القيادة في حصن بابليون ، ودارت حرب عظيمة غير منوف ، واضطر عمرو أن يحارب على قدميه بعد أن عُقر جواده .

وانتهى الأمر بانهزام جيش مانويل وفراره نحو الإسكندرية وتبعهم المسلمون ، حيث حاصروهم واستطاعوا اقتحام المدينة عنوة ، وقتل قائد الروم مانويل وتدمير عدد كبير من سفن الروم ، وبر عمرو بن العاص رضي الله عنه بقسمه فهدم أسوار الإسكندرية من الجهة الشرقة حتى سواها بالأرض ، ووضع عمرو على أرض الإسكندرية الخراج وعلى أهلها الجزية ، ورد على أهل مصر أموالهم التي أخذها الروم منهم ، وأعطى « بنيامين » زعيم الأقباط بمصر الأمان، وكان مختفياً من الروم عشر سنوات .

وهكذا عادت مصر إلى حكم الإسلام وإلى معاني العدل والرحمة التي افتقدتها في غياب هذا الحكم ، وبعد هذا الجهادا لكبير وهذا الخير الذي عم البلاد والعباد أيليق بنا أن نتنادى بفرعونية أو بغيرها من صور الكفر !! ، لقد خرج البعض من جلدتنا ، وممن يتكلم بلساننا ممن نبذ اسلامه ودينه ، يمجد تاريخ الفراعنة ويريد أن يرد العراق والشام ؛ وسائر بلاد الإسلام إلى بابلية وأشورية وفينيقية زاعمًا أن هذه هي حضارات الأجداد .

ولهؤلاء نقول :

﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾

[البقرة : ٦١] ، وهذا العفن الذي تريدون رد العباد إليه ليس بحضارة ، فالحضارة الحقة هي التي تقوم على

أساس منهج العبودية لله والإسلام أسبق من ذلك كله، فهو الدين الذي ارتضاه سبحانه للعالمين ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ** ﴾ [آل عمران : ١٩] .

وقد بدأت البشرية بنبي مُكلم ، وكان بين آدم ونوح عشرة قرون على التوحيد الخالص ،كما يقول ابن عباس رضي الله عنهما ، ثم طرأ الشرك في قوم نوح ﴿ **وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً (٢٤)** ﴾ [نوح : ٢٣-٢٤] .

وأحيانا يتسأل البعض :

كيف أقر عمرو بن العاص وجود الأصنام بمصر ؟.

وللإجابة على ذلك نقول :

لم يُقر عمرو بن العاص رضي الله عنه وجود صنم لا بمصر ولا

بغيرها، والثابت أن الصحابة مروا بإيوان كسرى بالعراق ، وبالأهرامات بمصر ، ولم يعيروها اهتمامًا ولم يصنعوا حولها هالة من الأمجاد الزائفة كما فعلنا في عصورنا المتأخرة ، وكثير من هذه الأصنام اكتشفت في هذه الآونة نتيجة اشتداد عمليات الحفر والتنقيب عن الآثار ، بمعنى لم يرها الصحابة ، إذ كانت مدفونة في بطن الأرض يومئذ، وبالتالي فلا ملامة .

والملاحظ أن الكثير من الأصنام وجود كسور عديدة بها ، وكأن هذا من آثار الطمس التي فعلها المسلمون .وأيًّا ما كان الأمر فالتعويل على ما جاء في كتاب الله وفي سُنَّة رسول الله ﷺ .

وقد يعجز المسلم عن إنكار المنكر لعدم القدرة أو لتحقق مفسدة أكبر من إنكاره ، ويبقى الحرص على

تكسير الأصنام التي في القلوب ، ورد الأمة ردًا جميلاً لإسلامها ودينها الذي رضيه لها ربها وخالقها ، حتى يتحقق فيها معاني العدل والرحمة ، ويُكتب لها النصر والعز والتمكين ﴿ **وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [يوسف : ٢١] .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه

سعيد عبد العظيم

يغفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين



بحمد الله تم

صدر حديثا من سلسلة

معا على طريق الجنة

- الاغتصاب
- خذوا ما آتيناكم بقوة
- الصورة التي أذهلت العالم
- نهاية العالم خلال ٥٠ عامًا
- قصة زواج موسى عليه السلام
- أليس منكم رجل رشيد ؟
- ماذا تعرف عن العلمانية ؟
- التحزب
- أحسنوا الظن بربكم وإن اشتد كربكم
- الناس والصيف
- تقلب الزمان بأهله
- المؤمن كالنخلة